

كيف يمكننا توظيف مفاهيم ابن خلدون في دراسة المجتمع الجزائري ؟

أ. مصطفى شريف
قسم علم الاجتماع
كلية الآداب

والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان-

الملخص : إن هذه الدراسة محاولة لمناقشة للفكر الخلدوني من جديد ،
من خلال طرح الأسئلة التالية :

- س1- هل إشكالية ابن خلدون مازالت معاصرة لنا . وهل يمكننا إن نستعملها على ضوء التطورات التاريخية والاجتماعية الراهنة ؟
- س2- وهل يمكننا كجامعيين و باحثين . تطوير وتوظيف مفاهيم ابن خلدون في دراسة المجتمع الجزائري على وجه الخصوص ؟

هذه هي الأسئلة التي تطرح علينا وتتطلب منا إعادة قراءة الخلدونية من جديد و العمل على توظيف مكسباتها العلمية والابستمولوجية معا وادماجها في العلوم الاجتماعية .

هذا الأمر يتطلب منا أيضا ' وهذا ضروري ' إعادة تملك (*Reappropriation*) الفكر الخلدوني بصفة نقدية و مزاولة البحث العلمي لمضينا وللذي في هذا الماضي مستمر البقاء والوجود باشكال وقواعد أخرى * (I).

إن التكلم عن إعادة بناء مفاهيم ابن خلدون وتنقيحها واستعمالها و توظيفها في خطابنا العلمي يقودنا . مما لا شك فيه إلى طرح سؤال آخر مزدوج يتكلم:

* في شطره الاول عن امكانية القطعية الابستمولوجية * (2) بالنسبة لجميع النظريات و المفاهيم المستوردة من الغرب أي نتخذ موقف نقدي إزاء كل النظريات الاجتماعية المعاصرة.

* 1 انظر . ع . جغلول . ثلاث دراسات حول ابن خلدون . ED. ENAL.

*2 عن القطيعة الاستيمولوجية ارجع الى L. ALTHUSSER

* وفي شطره الثاني . يتكلم عن كيفية وإمكانية استعمال و استخدام مفاهيم ابن خلدون شريطة أن نجعلها
نخبة و ثمرة (FECOND) و استخدامها المحلي في تحليلنا للظواهر الاجتماعية لمجتمعنا .

لا يمكننا في هذه الملاحظة المتواضعة و ضمن الوقت المحدد لنا ان نرجع ونتطرق إلى جميع ما قيل حول
الخللونية - هنا الإنجاز العقري - وحول الصرامة والموضوعية الذي تحلى بهما صاحبها نحاول فقط ان نكون
كما كان هذا المفكر العظيم ملاحظون يقضين لما يدور حولنا في مجتمعنا لا غير (تحديد الحقل النظري) كما نحن
مثله و مشكلية (Acteurs) .

1- هل القطيعة الاستيمولوجية ممكنة ؟

إن محاولة الاجابة عن هذا السؤال تنهب بنا الى طرح قضية تتعلق بالتيعية Dependance التي تربطنا بالنظريات
و بالنتائج العلمية الغريبة

لتأمل قليلا في ممارساتنا العلمية و الأكاديمية تكاد هذه الأخيرة تتلخص بوجه عام في تكرار و إعادة إنتاج
للنتائج العلمية و للمفاهيم وللأدوات التحليلية سواء لهذه أو تلك من النظريات المستوردة من بعيد و التي هي ثمرة
واقع تاريخي إجتماعي و ثقافي آخر .

ان هذا التكرار و إعادة إنتاج هذه المعرفة تمر بعملية تصفيح Placage هذه النتائج على واقعنا . تصفيح لم
ينجح بعد لأن هذا التحويل TRANSFERT للمعرفة قد توصل كما يقول ع الكتر AKENZ إلى " انعكس او الى
انحراف في المجموعات الثقافية و الاجتماعية لعالمنا لقضايا و إشكالية العالم الغربي " * (3).

* (3) une reflexion ou plutot une refraction dans les ensembles culturels et sociaux de notre monde

des problemes et problematiques du monde occidental. In article : « enjeux théoriques des sciences
sociales » A. KENZ.

اذن فهذه النظريات ستبقى بعيدة عن مادتنا التاريخية و الاجتماعية - بعيدة عن واقعنا وبالتالي لم يكن لها لا
صدى و لا مزايا الا واحدة فقط تلك التي تكمن في إستدراك تأخرنا النظري في العلوم الاجتماعية بالنسبة
لزمالاتنا الغربيين

هكذا يبدو لنا أننا مع العصر مع العصر و لكن بالتقليد فقط !

ويصبح انتاجنا العلمي مجرد خطاب فلسفي (Rhetorique)

- فهل نحن مستعدون اليوم بالإنجاز القطيعة الاستيمولوجية ؟

- هل يمكننا فعلا تحقيق القفزة النوعية في هذا المجال؟

- وهل 'بعبارة أخرى' يمكننا أن نحول "دورنا الخامن" المتمثل في محطة إعلامية وإشهارية فقط

كهمزة وصل نحوله إلى "دور فاعل" نشيط ومنتج للمعرفة العملية ثمرة واقعنا بمختلف أبعاده؟

أجل 'يمكننا ذلك'!. لقد بدأ عمل الوضع والولادة في الجزائر!

هناك محاولات واجتهادات من طرف جامعيين ومتقنين في هذا المجال هناك تحاليل و أبحاث

لمجتمعنا و لواقعنا بدأت بالقطيعة الاستيمولوجية و سنعود إليها فيما بعد

ان نجاح الوثبة النوعية تتضمن شروط و هذه الشروط محددة :

أولا بعلاقتنا بالانتاج العلمي بالنسبة لمجتمعنا و مختلف قضاياها الاجتماعية والثقافية

ثانيا العمل على تطوير هذا الفضاء الاستيمولوجي المبني على تحرر عقولنا و على المواجهة و النقد البناء

و المناظرة العلمية 'عوامل تعطي لخطابنا العلمي شرعيته و انفرادة و تريد تراء

لماذا؟ لانه خطاب جديد مكيف مع موضوعه و مع بيئته التاريخية و الثقافية لانه واقعي و عقلائي

4* (HEGEL)

هذه هي الشروط و ضمنها يمكننا الانتقال من الإنابة و التوكيل (Substitution) الى الخلق (Creation)

والإنتاج المعرفي حول مجتمعنا و بوسائلنا المفهومية (Instruments Conceptuels)

4* (HEGEL) يقول «Le reel est rationel»

2 - وهل يمكننا إعادة بناء مفاهيم ابن خلدون ؟

إذا كنا نعتقد إنه يمكننا فعلا قطع جبل الوريد الذي يشدنا بالنظريات الغربية .. بمختلف تسمياتها (وظيفية .

بناوية الخ ...) 'أي بعبارة أخرى يمكننا التحرر من حمل وعي التقليد . نستطيع الوصول الى تنقيح و توظيف مفاهيم

ابن خلدون من جديد واستعمالها في معالجة مجتمعنا . او كما قول ع. مغربي* (5) رؤيتها " بأعين جديدة" بموشورة

PRISME يأخذ في الحسبان الزمن والمكان الراهن".

- وكيف يمكن ذلك ؟

للوصول الى توسيع و صقل و تمذيب الرسالة المفهومية لابن خلدون يجب علينا:

أولا تحديد الحقل النظري (Champ théorique)

ثانياً تدعم هذا الحقل ببحوث أمبريقية تعمل على تغذيته وتعطيه جسداً وروحاً تجعله كباقية العلوم الاجتماعية أي صاحب سيادة ومكانة (STATUT) .

إن امكانية توظيف مفاهيم ابن خلدون من جديد بعد تلقيحها . لمعرفة مجتمعنا الذي لا يزال مجهولاً في حقيقته الغامضة . ممكنة شرطها الوحيد تحرير هذه المفاهيم من عقمها و من نظرتها الأحادية الجانب . ذات البعد الواحد أي ذلك البعد الذي يتجه نحو الماض البعيد فقط؟!

أجل تصوراتنا لواقعنا ليست مطابقة للأصل . يبقى مع الأسف واقعنا الذي نعيشه ولا نتحدث عنه حبيس الماضي يترقب من يتجه به نحو المستقبل . يمكننا رفع التحدي ؟ يمكننا الخروج من جدران الجامعة ؟ وانخراجها من الدور والحيز المدرسي ؟ (*Scolastique*) .

الجواب فيما توصل اليه . ع الجابري و هو يتكلم عن الخللونية " ان ما تبقى من الخللونية هو ما يجب ان ننجزه وليس ما انجزته " 6*

5* ع. مغربي : الفكر الاجتماعي لابن خلدون . ed. ENAL Alger .

6* محمد عابد الجابري . " قراءة نقدية لفكر ابن خلدون " المغرب .

م . شريف - كيف يمكننا توظيف مفاهيم ابن خلدون . جامعة تلمسان .
عن المبتدئين في هذا المجال .

لقد بدأت القطيعة الإستيمولوجية في الجزائر على يد كثير من الجامعيين و الباحثين و المثقفين . بداية اتخذت الحقيقة الاجتماعية موضوعاً و التحرر من التبعية العلمية منهجاً . و هكذا انطلقت الدراسات والتحليلات محاولة سبر غور هذه الحقيقة العميقة و معرفة خباياها و ميكانيزماتها التي تجعلها تتحرك و تتطور ضمن منطق خاص توصلت هذه الدراسات الى نتائج واستنتاجات و تعميمات تقر بالطابع الانفرادي و الخاص لواقعنا الاجتماعي والتاريخي و لإنتاجنا العلمي معا . نتائج علمية تتفق مع مبدأ غ. بيار الذي يقول " إن الواقع العلمي متزعز و مبني و محقق " .

من هذه المبادرات العديدة نذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

* دراسات وتحليلات أحمد هي* (I) ولا سيما تلك التي تعمل على تعرية الحقيقة الاجتماعية و تبيان الجوانب الثقافية و تأثيرها على السلوكات و الممارسات داخل التنظيمات . بمختلف اشكالها (الجامعة - المؤسسة الاقتصادية - الادارة العمومية الخ ..) سلوكات لا زالت تغذي نفسها من الماضي البعيد (دهنيات عصيات . تماثلات ...) تؤثر على التسيير العقلاني و توضح أشكال السلطة و استعمالها

لتوزيع الخيرات مادية او معنوية (امتيازات privikgrus) . تفسيرات توضح لنا منطق جديد لم نراه في تفسيرات نظرية اخرى في تصنيفاتها الاجتماعية وعوامل التصنيف¹

دراسات تحليل تستعمل مصطلحات و مفاهيم جديدة تعبر عن هذا الواقع و عن هذه الحقيقة . مثال على ذلك المصطلحات التالية :

رأسمال العلاقي - الولاء و الخضوع - التمرکز في السلطة (المسؤولية) من أجل تحقيق المصلحة الطائفية.

تفسيرات توضح لنا مثلاً كيف ان المجتمع يعيد انتاجه في المصنع^{*} (1)

1*. ا. هني "الشيخ و رب العمل" OPU 93 --مجتمع و انتاج" OPU 92

* مقارنة كل من ع. كتر و ج. فريدس. شيخي و ن. بورنان² في مواضيع شتى متفرقة أو جماعية توضح الحقيقة الاجتماعية التي نراها هنا وهناك بحسنة. ممارسات و سلوكات كثيرا ما توضح لنا التناقضات التي نعيشها و لا نتكلم عنها و توضح الالامقول و الخفي المستتر .

* مثل هذه الدراسات يوضح بها ج. ليايس³ (3) عن مدى تفكك المجتمع الجزائري و استمرارته في الازمة نتيجة هذه الممارسات و التصرفات متناقضة مع الخطاب الرسمي تكون عراقيل و حواجز لكل تطور بقينا في تبعية مزدوجة الاولى اتجاه الغرب الثانية تبعية الفرد للدولة .

يشرح ج. ليايس هنا كله بمصطلحات و مفاهيم مثل الربيع - علاقة الزبائية clientelisme - ذهنيات قبائلية (الاتكالية و التساوي) .

* تحليل م. ممتول⁴ و م. بو تقنوشة⁵ حول المجتمع الجزائري و مؤسساته المختلفة و التي تقف عن الهوة و الفجوة العميقة بين النموذج الصناعي المستورد و الحقيقة الثقافية لعمالنا التي جعلتنا غير قادرين على التملك الثقافي للتقولوجية . اسباب تعود الى بقاء و استمرار ذهنيات ريفية عتيقة تعيق العقلانية .

مثل هذه الدراسات و الابحاث العلمية العديدة الاخرى و التي لم نذكرها لضيق المجال و الوقت هي التي فتحت العهد الجديد لتشريع علمي جديد لواقعا و ذلك بالرجوع نحو أنفسنا بتحديدنا للحقل النظري و توسيع الحقل العلمي الذي يشكل الخطوات الأساسية الأولى نحو بناء هذا المشروع العلمي .

1* انظر ممتول المرجع .

2* دراسة حول التصنيع في الجزائر 82 - 78 .

3* ليايس N 21/90 cread

*4 كتاب انتاج مجتمع 86 OPU

*5 من ازمة مجتمع و تغير

المراجع العربية

1 - ماتبقى من الخلدونية : مشروع قراءة نقدية لفكر ابن خلدون .م. عابد الجابري نحن و التراث المغرب .

2 - علم الاجتماع بين الالتزام و الاذاتية عبد الرزاق الجيلالي - جامعة عنابة مقال منشور في مجلة المستقبل العربي عدد 146 4 / 1991 لبنان - بيروت .
المراجع الأجنبية:

1- trois études sur IBN-KHALDOUN A.DJEGHLOUL ed-ENAL ALGER

2- la pensée sociologique d'IBN KHALDOUN A. MEGHERBI ed-ENAL ALGER

3- en jeux theoriques des sciences sociales dans le monde ARABE: A. KENZ in: « au fil de la crise : ou études sur l' ALGERIE » ed. BOUCHENE.